تونس يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الاولى ١٣٤٠ — ثمن العدد ٢٠ مانتيما — الموافق ١٧ جانفي سنة ١٩٢٢ — العدد ١٧ السنة الاولى

الاشتراك

عن سنة ٢٠ فرنكا

عن نصف سنة ١٢ فرانكا

لا ترسل الجريدة الا لمن يدفع معلوم الاشتراك معجلا

"EL-BOURHAN"

Journal hebdomadaire, indépendant, politique, économique et littéraire

البرهان

جريدة حرة سياسية اقتصادية ادبية اسبوعية

المكاتبات

يجب أن تعنون باسم ادارة جريدة «البرهان» بشارع باب الجزيرة عدد ١١ بتونس

العنوان التلغرافي : البرهان - بتونس

المدير السياسي : حسن قلاتي — Mardi 17 Janvier 1922 — Première Année. — Numéro 17 — Directeur politique: Hassan GUELLATY.

المسالة التونسية

نحن والاستعماريون

خلق الله البشر من رجل وامراة فتناسلوا شيئا فشيئا حتى صاروا شعوبا وقبائل واما مختلفة الالسنة والالوان وتغلب بعضهم على بعض واباد بعضهم بعضا والعامل المعتبر في ذلك هو عامل القوة التي يخضع امامها الضعيف وتداس حقوقه امام القوي بدون شفقة ولا مرحمة

تلك هي سنة الكون التي فطر الله الناس عليها وعبثا يحاولون تحرير نظام العالم وتغيير طبائع الكون

خلق الله البشر واودع فيه حواس الشره والطمع وحب الاستئثار ونخوة التسلط وزهو التغلب على غيره لامتصاص ما له من الثروة والانتفاع بيده العاملة وقواه النشيطة بدون بدل سوى ما يلزم لقوته الكافل بحياته ليبقى رقا منتفعا به في مصالح القوي المتغلب

جرى هذا النظام في القرون الخالية والاعصر الغابرة بصورة واضحة جلية مرتكز على قاعدة ان الحق مخالف للقوة كما ان الباطل ملازم للضعف بدون نزاع ولا جدال

نعم ان الرقي الذي حدث في القرن الاخير كان من شانه تهذيب الاخلاق وتحسين التربية وانتشار التعليم وكانت من نتائجه التعمق والبحث في النظريات الفلسفية وبدا للعين مسخ تلك الاخلاق الوحشية التي لا ترى الحق الا لسلطان القوة والجبروت واخذ الاخلاقيون يبثون بين الامم المستضعفة مبادي الحرية والمساواة ويحببون اليهم مقاومة السلطة المكتسبة بالقوة والعنف حتى يتحرروا من قيود الذل والعبودية ولم تزل تلك التعاليم تنتشر بين الافراد والجمهور ويزداد مفعولها يوما فيوما فتليت بسببها مراجل الثورة واشتد غطيطها فاسفرت عن انفجار براكنها فالتهمت تلك السلطة القاسية وعموم المتسلطين

ذلك نفس ما وقع للامة الحامية ومن يراجع تاريخ هذه الامة يجد ما اجملناه مفصلا في ادوارها السياسية الى ان حدثت تلك الثورة الهائلة التي انكسرت بواسطتها اغلال الاضطهاد وانهدمت صروح الاستبداد وتخربت قلاع السجون وارتفعت عن ذويها اليم الاستبداد وعذاب الهون وانقشعت غياهب هاته الثورة وبزغت شمس الحرية على هاتيك الافاق وانبعثت اشعتها في الديار الاروبية فاستضاءت بنورها ارجاؤها المظلمة ودواخلها العميقة واندحر عصر الفجائع والويلات عصر الجبروت والطغيان عصر الاستبداد والامتهان يخلفه عصر الاخاء والتحابب عصر الحرية والمساواة ومن ذلك الوقت اخذ الانسان يعرف قيمة نفسه وقيمة افراد بني جنسه ادرك الانسان انه اذا يسعى في المصالح الخاصة انما يكون سعيه في تقويض قاعدة المساواة والضرر الذي يرجع اليه من وراء ذلك اعظم بكثير مما عساه يستفيده من وراء مساعيه بخلاف سعيه في المصالح العامة يكون مؤيدا للمبادي الدمقراطية ويستفيد من ورائها بصفة كونه فردا من مجموع الامة فائدة مشروعة باقية في عقبه يعود عليه فخرها على ممر العصور والاجيال ولكن بالرغم عن جميع ذلك فالمرء مجبول على حب التسلط والاستئثار وسلاحه في ذلك هو القوة وحدها ولا سيما تجاه الضعيف الحقير ومثال ذلك ما نشاهده عيانا في هاته البلاد

في سنة ١٨٨١ نشرت الدولة الفرنساوية حمايتها على تونس بمقتضى معاهدة باردو فانتزت بذلك السياسة الخارجية وفي سنة ١٨٨٣ تعززت تلك المعاهدة بمعاهدة ثانية تدعى معاهدة المرسى وانتزعت بمقتضاها السلطة الداخلية بحيث لم يبق للحكومة التونسية عدى الارشاد والمساعدة على تنفيذ رغائب الدولة الحامية

قضينا الدور الاول من هذا العهد في اسكان الهرج وتهدية الخواطر وايقاف القلاقل ثم جاء دور التنظيمات وتنويع الادارة والاشتغال بمصالح البلاد ولا ننكر ان رجال الحماية قاموا بامور هامة واصلاح مفيد جدا واحدثوا رقيا ظهرت آثاره في الاموال والانفس والثمرات فانكار ذلك يعد من انكار المحسوس المشاهد بالعيان كما يعد من نكران الجميل الذي تاباه النفوس الكريمة والشيم العالية

كانت الطرقات وعرة المسالك والسبل غير آمنة والمواصلات عسيرة ان لم تكن منقطعة فمهدوا جميع ذلك وترى الان الطرق المحصبة تخترق بلدان المملكة وقراها من الشمال الى الجنوب ومن الغرب الى الشرق متفرعة ومنبثة في انحائها تفرع العروق والاعصاب وقد اصلحوا المعابر والجسر تمر فوقها السيارات والعربات بغاية الراحة والاطمئنان وواصلوا مد الطرق الحديدية لتسيير الارتال البخارية تحفها الاسلاك الكهربائية اسلاك التلغراف والتليفون كما اصلحوا المراسي البحرية وبنوا بها الارصفة وشيدوا المواني فترى البواخر الضخمة ترسي بجانب الرصيف بلا خوف ولا ذعر

احدثوا المكاتب لنشر العلوم والمعارف نظموا الادارة اصلحوا العدلية واقاموا المجالس الافاقية في امهات المدن سنوا القوانين ووحدوا الدين القديم على ضمانة الدولة الحامية ساعدونا على الاقتراض هذا من جهة الاعمال الدولية

اما من جهة الافراد الضاعنين الينا فكذلك لا ينكر انهم ساعدوا على رقي البلاد بما جلبوه في ايديهم من رؤوس الاموال واستعمالها في توفير الثروة بالفلاحة والتجارة والصناعة

ولكن هل ينكرون هم ايضا ان جميع هاته الاعمال لم تتم الا بمشاركة العنصر الاهلي ومساعدته ولولاه لم يتم من ذلك شيء اذ الاموال التي صرفت على هاته الاصلاحات دفع جلها ان لم نقل كلها ذلك العنصر التعيس وهل تلك الاصلاحات والمحدثات قد تم دورها وانتهت اعمالها ويصح ان يقال في حقها ليس في الامكان ابدع مما كان ام هي لم تزل في طور النشو محتاجة الى الارتقاء وفي كل يوم يتولد الاحتياج وينمو الافتقار والذي كنا بالامس في غناء عنه صار اليوم يعد من لوازم الحياة والتونسي الذي كان خامل الذكر ضئيل الارادة يتوارى في زوايا الاختفاء شعر اليوم بمركزه الطبيعي واحس بآلام حرمانه من التصرف في شؤونه على مقتضى حاجياته ومصالحه فهب من سباته مطالبا بحظه مجادلا بقوة حجته وسلطان برهانه وهل المقام يحتاج الى المجادلة واللجاج لو لا تغلب الجبلة البشرية جبلة التعصب الممقوت وحب الاستئثار بالمنفعة

صاح التونسي مطالبا بحقوقه المقدسة فرموه المستاثرون بمعاداة فرنسا ومناواة نيابة كانه باشر نهبا او اثار حربا واوغاوا الدوائر به والافتراء عليه وارتكنوا على ذلك في سلبه حقوقه وداسوا باقدامهم كرامة الانسان ليستاثروا بالامر مسيطرين على شعب ضعيف يحتمي بدولة دمقراطية جمهورية اقتضت قواعدها احترام حقوق الانسان بقطع النظر عن الجنس والدين لكن ما بالطبع لا يتخلف والتعصب يعمي ويصم فراجت هذه الدسائس رواجا ابعد التونسي عن المشاركة في الراي والعمل كعدو تخشى بوادر فتنته ولكن للباطل جولة ثم يضمحل نعم ازاحت هاته الاوهام والخيالات الباطلة ما اتاه التونسيون اثناء هاته الحرب الطاحنة يوم كانت فرنسا في احرج وقت واصعب موقف تجاه العدو المهاجم

نعم نفرت العساكر التونسيون من كل جهة وخاضوا عباب البحر وجادوا بارواحهم النفيسة وقربوها ضحايا على هيكل الاخاء والموازرة

وفريق منهم خلف المتجندين الفرنسويين في اعمالهم اليدوية التي بقيت شاغرة بسبب ذهابهم الى الواجهة

اما البقية التي بقيت هنا فقد ساعدت على الاعانة ما استطاعت وثابرت على ملازمة الهدو والسكون تقاسي من ويلات الحرب الوان العذاب وصنوف الالام مظهرة لشواهد الاخلاص في كل فرصة ومناسبة واندفع بذلك ما كان يشاع من انهم اعداء فرنسا يتربصون بها الدوائر ليثبوا عليها وثبة الفاتك المفترس

انقضت هاته الحرب وزالت تلك الاوهام وتبسم لنا ثغر هذا العصر الجديد وقمنا نطالب باجراء سياسة التشريك فتهاطلت علينا المواعيد الحسنة وبشرونا مرارا بان الوقت قد حان لاجراء تلك السياسة المباركة بصدق واخلاص فترجح الرجاء وتحقق الامل ووثقنا بكلمات رجال الحكومة وثوقا لا يخامره شك ولا احتمال غير ان البعرة تدل على البعير

والتقدم يدل على المسير ولكل شيء مقدمات وعلامات ولكل جيش طلائع وما رايناه اخيرا بجلسات الجمعية الشورية مما يضعف الامل ويحدث الريب في تلك المواعيد وهاتيك التصريحات المتكررة وخلاصة ما رايناه ويا للاسف راينا الفئة الاستعمارية تجادل وتدعي انه من الواجب مراعاة تفوقهم على العنصر الاهلي كما انه من اللازم امتيازهم واستئثارهم بخيرات البلاد ومنافعها والذي يستاء منه اكثر من ذلك رضوخ زملائهم الذين كنا ننزههم عن الاندماج في هاته السياسة الشائنة الا من شذ منهم وهما دوران وقطان واسوا من جميع ذلك مجاراة الحكومة لهم وسكوتها امام هاته الاقتراحات الجارحة لعواطف الشعب التونسي

لماذا يطلب الاستعماريون ان يكون لهم التفوق علينا وانهم الجدرون بالاستيلاء على ينابيع الثروة والاختصاص بالوظايف وارتفاع المرتبات وتخفيف كاهلهم من ثقل الضرايب لتجعل وقرا على ظهر العنصر الاهلي يرزح تحت اعبائها في هاته الاوقات الحرجة مع اننا انصفناهم فلم نطلب الا التنصيف بيننا وبينهم والاشتراك على التساوي في الحقوق والواجبات

الهم حجة على ذلك سوى انهم الاقوياء ونحن الضعفاء اما علموا ان الحق بجانبنا ومن يكن الحق ناصره فليس بالضعيف ولا المستهان ومن صارع الحق صرعه وان البغي مرتعه وخيم تسعر لهيب هاته الحرب الهائلة وذهبت بسببها ملايين من النفوس ولا غرض من ذلك الا نصرة الحق على القوة وسلامة الضعيف من بطش القوي الجاير بذلك كانت تصرخ ساسة فرنسا وقوادها العظام افبعد ذلك يحسن بالاستعماريين ان يطالبوا بالتفوق والاستئثار لكونهم الاقوياء امام المستضعفين

صرح م. سارو وزير المستعمرات بان من واجب حكومته ان لا تقتصر في مستعمراتها على الاشتغال بالماديات ويجب عليها ان تهتم بالادبيات فتربي ارواح السكان تربية حرة منصفة تكون الرابطة القوية بين الطرفين يصلان بها الى رفاهية العيش وسعادة الحياة فهل جنح الاستعماريون الى سلوك هذا المنهج المستقيم وعملوا براي هذا السياسي العظيم عند ما طلبوا التفوق والامتياز بمصالح شخصية ذات فوائد حقيرة

لذلك نرفع اصواتنا صارخين بطلب الانصاف والمساواة بيننا بدون ميز ولا تفوق لاحد الطرفين وسيعضدنا في مطالبنا نخبة الامة الفرنسوية من فلاسفة ومشرعين وكتاب وصحافيين وقادة ماهرين وسياسيين عاملين ولنا وثوق تام في مساعدة هؤلاء الفضلاء على مطالب انتهجت منهج الصواب وابتعدت عن الشكوك والارتياب والى الله المرجع والمئاب

الاحوال الخارجية

كل يعلم ان الارتباكات الاقتصادية والضيق المالي التي يتذمر منها العالم منذ نحو ثلاثة اعوام ناشئة عن الانقلابات الاجتماعية والتغييرات السياسية التي تولدت عن الحرب وان الاراء اتفقت على ان لا سبيل لتلافي البحران الذي يهدد المدنية الا توحيد مجهودات جميع الدول ووضع برنامج اقتصادي عام للمبادلات التجارية وهذا ما دعا كبير وزراء انكلترا الى تخصيص الجانب الاوفر من الخطاب الذي القاه على مؤتمر مدينة كان لمشروع عقد مؤتمر عام ببلاد جنوة للمفاوضة في الوسائل التي تحقق تجديد الحياة الاقتصادية الكونية مصرحا بان جميع الدول بلا استثناء يجب ان تكون ممثلة في هذا الاجتماع اذ لا غنى لاوروبا عن مملكتين عظيمتين كروسيا والمانيا في نهضتها الاقتصادية وكان المنتظر ان يكون لهذا الاقتراح صدى حسن في الممالك التي حضر مندوبوها في مؤتمر كان وبالخصوص نواب الحكومة الفرنسوية لان مسالة التعويضات التي يتوقف على نجاحها احياء ما اندثر من معالم الثروة الفرنساوية بالجهات الشمالية مرتبطة باستعادة الثورة للبلاد الاوروبية الامر الذي لا يتاتى ما دامت المبادلات معطلة مع روسيا وما دامت المانيا مقيدة بتلك القيود الحديدية التي قضت او كادت على تجارتها في الخارج ولكن الراي العام الفرنسي ضرب لهذا الاجتماع الف حساب وخاف ان يكون ذلك توطئة لتنقيح معاهدة فرساي فيما يخص التزامات المانيا فانكر على مسيو بريان قبول مبدأ انعقاد هذا المؤتمر بدون تحفظ على حقوق فرنسا من هذا القبيل ـ والحال ان المؤتمر المذكور لم يهمل هذه المسالة واتخذ جميع الاحتياطات اللازمة من هذا الوجه ـ ولكن الدسايس عملت عملها فلم يسع هذا الوزير الا الاستعفاء هو وزملاؤه من ادارة شؤون الحكومة اذ لم يعد في امكانه الاستمرار على المفاوضة مع كبير وزراء انكلترا غير معززة بثقة اغلبية مجلس الامة الفرنساوية ونحن نتأسف على خروج مقاليد السياسة الفرنسية عن يد مسيو بريان الذي اقام برهانا جديدا في المدة التي قضاها برآسة الوزراء على سعة مداركه وطول باعه وحرية افكاره وحنكته النادرة التي مكنته من تسوية المشاكل العديدة التي عرضت له في بحر السنة الماضية ولا ننسى له النصيب الوافر في انجاز الاتفاق التركي الفرنسي الذي اكسبه انعطاف وثناء جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها ذلك الاتفاق الذي جاء حجة قاطعة على حسن نوايا فرنسا نحو دولة الخلافة واحترامها لاستقلال الامة التركية وتجردها عن كل الغايات التي نسبوها اليها في تلك الديار

البر في سبيل العلم

(٢)

تابع ما قبله

بعد الاحتلال

ادركنا ادراكا لا مجال للريب فيه اننا في حاجة شديدة الى تعاطي علوم كثيرة ما كنا نفكر فيها من قبل او نعطيها حقها من الاهتمام [illegible] بالخصوص ان التجارة والفلاحة والصناعة ذوات علوم هامة لا كما كنا نحسبها حرفا بسيطة . وانه لا سبيل الى مجاراة هذا الشعب المتمدن الذي نعاشره الا بانتهاج مسالكه اليها . ولا يعزب عن واحد منا بعد ذلك اننا مفتقرون بكيفية شديدة الى التعاون والاجتماع على تاسيس مشاريع كثيرة ونخصص اكثر ما يمكن من مجهودنا المالي اليها . اذ من المتعذر ان تكفينا الحكومة مؤنة تلك المشاريع مهما بلغت من الاخلاص والعناية

لكنا ، ويا للاسف والخجلة ، لم نقم بشيء مما يفرضه علينا ذلك الاحساس كانه لا حاجة بنا الى الرقي ويكفينا ان نتذكر ماضينا ونتفاخر باجدادنا او كان الحكومة الفرنسية ما جاءت بلادنا الا لتعلمنا وتسوسنا وتمتع بجمال اعيننا ونحن متربعون على مقاعد الرئاسة ومنهمكون في ملاذنا لا نعين فقيرا ولا نعبأ بمريض ولا نكترث بمتشرد ولا نفكر في جاهل

انظر معي فلعلني غالط هل من رجل وقف على التعليم او تبرع في سبيله . هل من انفق على متعلم فقير لاتمام تعليمه . هل من سفر تلميذا على نفقته الى اوروبا . هل من اسس مكتبة او معهدا عليا ؟ البنت الجمعية الخلدونية ثمن من الفقر والمشتركون يسالون انسلالا ؟ والجمعية الخيرية لا تقوم على ذلك العدد القليل من ابنائنا الا بعد ان تذوق جانبا من الآلام في سبيل جمع الحطام . والجمعية الصادقية قد قضي عليها وقبرت لضعف المساعدة المادية كل ذلك ولا تخلو بلدة مهما كانت درجتها من الفاقة من الاهتمام والبذر بمزيد السخاء على اقامة الزوايا وتسييرها

انه لتعرو في الخجلة اذا سمعت ان علي بك كامل وكيل الحزب الوطني المصري قد تبرع بنفقة سنوية دائمة على ارساليه « فهميه » الى اوروبا تتالف من تسع طلاب لمزاولة ما تحتاج البلاد من مختلف الفنون . وان المرحوم محمد فريد بك كان ينفق على كثيرين من التلاميذ حتى يتم تعلمهم ـ وانا اعلم ان كثيرا من ذوي القرائح النادرة قد ذهبوا ضحية بخلنا واهمالنا ولو كان لهم منا بعض النفقات لكانوا لنا عدة عظيمة وفخرا جسيما

كم اقرا عن اخواننا الشرقيين المستقلي الافكار والعارفين بفضيلة الاعتماد على النفس ولا اقرا او اسمع باريحيه او شبه اريحيه من مثرينا الكرام الذين تقع عليهم مسؤولية اهمال ذلك الواجب

حقا انا في اشد حاجة الى الارشاد وتثقيف الافكار وان ذلك اهم واجب المكفرين لهذا العهد على المجموع ينهض الى تادية فروضه

وها انا ذا اختم هذه الكلمة برسالة بعث بها ناظر المدرسة الاعدادية الثانوية الى حضرة المحسن الكريم الخواجة فارس يوسف لنرى مثالا جديدا من اعمال البر العلمية التي يانيها الشرقيون صالح مساو وهذا نصها حسبما قراناه اخيرا بجريدة « الاخبار » :

« حضرة الفاضل الخواجه فارس يوسف بمصر الجديدة »

تحيي الانسانية فيك شرف العاطفة وكرم النفس ومجد الميل الى الاصلاح والاحسان والشعور بحقوق الانسان على أخيه الانسان وجل المروءة فيكم انكم من ناصريها بمعاليكم وناشريها بمساعيكم وتكبر فيكم شجاعتكم الجليلة واقدامكم الكريم على مديد المعونة الى بعض من كادت تنقطع بهم الفاقة عما يشتهون من ثمار العلم ومكاتب التهذيب والتثقيف وما كانت تغنيهم مواهبهم ورغائبهم لو لم يكن لهم من مالك أكبر معين وخير نصير .

تفضلت فذكرت في كتابك الوارد لنا بتاريخ ٩ اكتوبر سنة ٩٢١ انك أوليت ثلاثة طلبة من أبناء العاملين تختارهم المدرسة الاعدادية تعليمهم فيها حتى تصل بهم الى الغاية المتمناة لهم فكان لك بعملك هذا أريحية الكريم وكرامة المحسن الخالص

لو علمت أن كل طالب ممن تقحمتهم هذه النفحة الكريمة سيكون في مستقبله العلمي رأس أسرة عادلة في الامة وقائد جيش يذود عن حياض وطنه توثقت انك غرست في أرض الخير المقدسة شجرة طيبة تؤتي اكلها كل حين وتظل اغصانها من تقحمتهم نار الفقر وهنالك يكون لك في كل نفس أثر خالد وفي كل جيل شاكر وحامد

فحيا الله فيك هذه العاطفة الكريمة ووفق القادرين الى ان ينحوا نحوك ويسلكوا مذهبك حتى تجمع الامة الى كرم الاغنياء ووفائهم سعادتها بتهذيب الفقراء من أبنائها فيتهيأ كل لخدمتها ويتفيأ الجميع ظلال السلام بين ربوعها والسلام

ناظر المدرسة الاعدادية الثانوية

سيد فهمي

الصحافة الفرنساوية

حديث لاحد محرري البتي جورنال

مع جناب المقيم العام بتونس

عقدت البتي جورنال الباريزيه في عددها الصادر يوم ٣١ ديسامبر المنصرم فصلا طويلا لخصت فيه الحديث الذي دار بين احد محرريها وجناب المقيم العام في شان تونس والاحوال التونسية اقتطفنا منه الاسطر الآتية وهذا نصها :

كيف يمكن للانسان في بلاد كهذا ان يرمي الى غير قليل من العمل وقليل من النهمة وقليل من الحماسة وقليل من الصبابة والحب ؟

ومع ذلك فان هنالك قوما « من الشبان ام مطامح اكثر من تلك » ـ جلهم تلقى العلم بمدارسنا فلوثت ادمغتهم افكارنا العالية التي كانت السبب في الثورة الفرنسوية : فهم يريدون ان يلعبوا دورا [illegible] النوادي السياسية ـ اولائك هم جماعة الشبيبة التونسية ابناء عم الشبيبة التركية الاقرباء على ان لهم معهم علاقات وصلات فاتخذوا المبادي الوطنية [illegible] وسطروا في طالع برنامجهم الرجوع الى « الدستور »

وعند ما حل م . لوسيان سان بالسفارة جعل لنفسه موقفا في غاية الوضوح نحو الشبيبة التونسية حيث اقام حدودا مقررة ما بين مطالبهم المختلفة : بما ان حكومة الباي تعاهدت مع حكومة فرنسا على تقرير كل الاصلاحات السياسية والادارية اللازمة للبلاد فان السيد المقيم رفض رفضا باتا كل المطالب التي لها صبغة سياسية بحتة ولا يمكن اعتبارها الا انها منافية لحرص الحماية « وهي المجلس التشريعي والانتخاب العام والحكومة المسؤولة امام ذلك المجلس . ومن جهة اخرى فانه اظهر استعدادا للنظر في المطالب التي تخص المدارس والاسعاف العام وتسوية المرتبات والمشاركة في الاراضي الاستعمارية بكل اريحية حتى انه شرع في سبيل العمل حيث رفع حالة الحصار عن تونس واوجد وزارة العدلية تلك التي تخص فصل السلطة الادارية عن السلطة القضائية كما طلبته الشبيبة التونسية

فسياسة الصراحة الحرة هاته كانت بكورة نتيجتها تفتيق الافكار حتى ان حزب الدستور القديم انقسم في الساعة الراهنة الى شقين : الاول مؤيد لدعاويه ومقتصر على اعمال نظرية بحتة والثاني . ولا شك انه براعة عملية اكثر من الاخر . عدل عن كل المطالب الغير المقبولة . ولا ازيدنكم علما بان الشق الاخير الذي نال بعض منتفذ استجلب مودة الاهالي الذين يشتغلون بالمسائل العمومية ولو كان عددهم في الحقيقة قليلا

اخبار متفرقة

اتفاقية انقرة وحلب . اخذت قوافل الاناضول التي انقطعت عن الشام منذ سنين تؤم تلك البلاد فقد زارت قوافل عديدة مدينة حلب الشهباء في الاسابيع الاخيرة واشترى اربابها جانبا عظيما من البضائع والمنسوجات على الاخص وبهذا السبب عادت معامل الحرير الى نشاطها ودبت روح الحياة في كافة اهالي تلك البلاد الغنية

دنوزيو بانقرة . اخبرت جريدة بتي كوتوديه ان قابريال دنوزيو الكاتب الروائي الايطالي الشهير سيسافر الى الاناضول لزيارة المشير مصطفى كمال باشا

المخابرات التركية الانكليزية . حل منذ قليل بلندرا الماجور هنري العضو بالبعثة الانكليزية الذي تقابل مع الفريق رافت باشا بانيبولي وتفاوض معه في امور هامة ويقال ان الماجور هنري صرح اثناء قيامه بالاستانة العلية ان الراي السائد بانقرة يسمح له بالامل في تسوية المشكلة الشرقية بصورة مرضية

تشيترين وتركيا . ابرق كوميسار الامور الخارجية بموسكو الى حكومة انقرة رسالة مضمونها ان روسيا ليس لها غاية في بلاد الاناضول وانها تود ان تكون علايقها مع حكومة انقرة على احسن ما يرام من المودة وان حكومة موسكو اتخذت الوسائل الشديدة ضد اشياع انور باشا وهي لا تسمح باية دعوة لقائدهم بالقوقاز وقد سلمت هذه الرسالة الى المجلس الملي الاكبر بانقرة

بكير سامي بك بالمجلس الملي . القى بكير سامي بك امام هذا المجلس خطابا مسهبا بين فيه نتائج مأموريته باروبا واطلع المبعوثين على الراي

الفرنسي بخصوص الاتفاق التركي الفرنسي كما شرح لهم رايه الخاص في الاحوال الخارجية حسبما دار بينه وبين رجال السياسة الفرنسيين والايطاليين من المذاكرات فكان لخطابه هذا وقع حسن في نفوس الحاضرين وسيستمر على تحرير اعماله بالبلاد الاجنبية في جلسات اخرى

الافغانستان . اقبل مسيو ملران رئيس الجمهورية الفرنسية دولة الفريق ولي خان المبعوث فوق العادة من حكومة كابل واعضاء البعثة الافغانية الذين زاروه قبل مبارحة العاصمة الفرنسية

ايطاليا والبانيا . سلم المندوب الايطالي لدى حكومة تيرانة الى رئيس الحكومة الالبانية الصك الرسمي في اعتراف دولته باستقلال البانيا وقد اكدت الصحافة الايطالية بهذه المناسبة بان ايطاليا برهنت بذلك مرة اخرى من بين الامم على عزمها القوي على حماية الامم الضعيفة التي تطالب بحقها الوطني

اليمن . حلت اخيرا بعثة مشكلة من عدة مشائخ من شيوخ اليمن بالاستانة لتقديم رسوم الاخلاص الى جلالة الخليفة الاعظم بالنيابة عن لامام يحيي و اهالي اليمن وقد حظيت هذه البعثة بمواجهة وزير الداخلية المشير علي رضى باشا الذي رفع تعنياتها الى جلالته السلطانية

فارس . افادت برقية من طهران بان المعاهدة الفارسية الروسية المبرمة في شهر فراير الماضي وقعت المصادقة عليها من لدن مجلس الامة الفارسي عدى بعض فصول منها وقع استثناؤها حيث كانت منافية لاستقلال المملكة

مصر . احتجت كافة الصحف المصرية وكذا الهيئات الوطنية على ابعاد سعد زغلول باشا وبعض اعضاء حزبه وتعددت المظاهرات بمدن بلاد النيل للاعراب على استياء الامة من مسلك حكومة الاحتلال

رسالة

جوابا عما نشرته ورقة النديم في خصوص صديقنا المفضال السيد عبد القادر المسعي ارسل هذا الصديق مكتوبا لصاحب تلك الورقة ورغب منا نشر عبارته بجريدتنا واليك نصه

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

في ١١ جانفي ١٩٢٢

فضيلة الاكتب الحازم الغيور السيد حسين الجزيري مدير جريدة « النديم » كان الله في عونه على خدمة الوطن حقا وانني عولت على عدم الاطلاع على ورقتكم في العام الجاري (١٩٢٢) وعليه فكل عدد ياتيني في المستقبل يرفض فيرجعه وربما ان انكم لم توجهوها لي الاثمانية اشهر فقط حسب اعترافكم فان تقضي ابت ان احاسبكم يوما فيوما فاني وجهت لكم صحبة هذا حواله بريديه بها اشتراك عام كامل اي فرنكات « ٢٠ » [illegible] عليكم يا جناب الصحافي الشهير ان عدولي عن قراءة جريدتكم هو كوني كثير الاشغال ولم تكن لي اوقات زائدة لاصرفها في هاته السخائف التي لا تجدي نفعا والسلام من محرره الفقير الى ربه عبد القادر المسعي بماطر

جوق الاداب

رواية الكردينال ريشليو

يوم الجمعة المقبل على الساعة الثانية ونصف مساء يقوم هذا الجوق النشيط بتمثيل ادوار هاته الرواية الفائقة كعادته السابقة تظهر اثناءها براعة الانسة بهجة شمس المراسح التونسية في تمثيل دور جولي الحسناء والاستاذ جورج ابيض في تمثيل دور الكردينال ريشليو

ويكون ذلك برهانا قاطعا على كذب النقادة الشهير المحرر بجريدة المضحك المتطفل على فن لا يدرك معناه ولا يعرف مغزاه حتى صار سخرية بين العموم خصوصا وانتقاده كان محررا بلغة هز القحوف وقصيد ابي شادوف

اساس علم الاجتماع

او

علاقة السوسيولوجيا بالعلوم

هنالك في تاريخ هاته البلاد حادثة عظمى لها شان كبير على مصيرها وهي الحرب الصليبية مابين المستنصر بالله الحفصي ولويس العاشر ملك فرانسا : فانه من ذلك الحين اخذ الاسلام يمشي القهقرى واخذت اوربا تسير الى الامام؛ فترجمت كتب العرب وما لبثت ان استغنت عنها وكونت علوما مستمدة من علومها مع كل التنقيح وتولدت من تلك علوما جديدة اخرى .

فواقعة لويس العاشر مع بساطتها كان لها هذا الانقلاب العظيم غير انه ما كاد يظهر نبوليون بونبارت على مرسح العالم حتى استيقض الاسلام من منامه واخذت تدب فيه روح الحياة وكانت شعوبه مختلفة الاستيقاض فمنها الناهض ومنها مادونه ومنها ماهو في الحضيض : وطبيعي ان الفرق كله ما بينها في البضاعة العلمية . فمن كان نصيبه في العلوم اوفر كان حضه في الرقي اعظم .

ومن حين النهضة الاسلامية اخذ الكتاب في هاته البلاد يصفون العلم بما اوحى لهم وجدانهم من لا احساس الشريف غير ان العلم غير الاحساس : فكلاهما مستقل في بابه : ولهذا كانت الاوصاف من هذا القبيل فيها ما فيها من الغلط والابهام ويجب علينا اليوم ان ننظر الى العلم بمعناه الحقيقي حتى يكون الانسان على بينة مما هو ويتضح له علاقة العلوم بالاجتماع ومن هناك يتسنى للقاري اللبيب ان يسبر بمسبار العقل حالتنا الراهنة نظرا لكل ما سبق :

ان ابسط العلوم هي ما كانت نتيجة النظر مع التفكير فاذا نظرت الى ماهو حولك تجد اشياء عديدة واول مايتبادر لذهنك الاحصاء والعدد وهو يشتمل طبعا على جمع بعض الامور او طرح بعضها من بعضها او قسمة بعضها ببعض ؛ وهذا هو علم الحساب : فيكون هو اول العلوم التي اخترعها ابن ادم للاستعانة بها في قضاء شؤونه : « لانها ضرورته الاولية » ولهذا تكون اول ضرورة للمجتمع التونسي هي معرفة الحساب وجل الناس يعلم ذلك اجمالا ولو كان الشعب في الحقيقة في حاجة اكيدة الى هذا العلم الاولي البسيط الذي تبنى عليه بقية العلوم ـ ومن البديهي ان كل انسان يحتاج اليه في اعماله اليومية : « لاحصاء شؤونه وضبطها بطريقة علمية » .

ـ ويشاهد كل منا مساحات شاسعة امامه لها « اشكال » مختلفة لها « طول » و « عرض » و « ارتفاع » او « عمق » ـ ويستنتج من من ذلك علم الهندسة الذي هو علم « المسافة » ويكون هو الثاني بعد الحساب لانه مرتبط به ومتولد منه ـ

وينتج مما سبق ان ؛ العدد والمساحة هما ابسط واعم النواميس والنسبات التي يمكن ان يدركها العقل لاول وهلة ولهذا راى العلامة اليوناني فيثاغورس انها السبب الاول في كل حوادث الطبيعة ويدخل في ضمن ذلك الحوادث الاجتماعية والسياسية ـ فالمساحة والعدد هما الاساس العنصرية التي ترتكز عليها بقية الاشياء ـ ويتبادر لذهننا فكرة النهوض والتنقل والحركة بتسلسل الاعداد وتولدها من بعضها وقد بنيت اساس المكننيك (جر الاثقال) على الحساب : فالعدد والمساحة والحركة القارة او العاملة هي مجموع كل النواميس الكونية ـ وبهذا تكتفي العلوم السابقة بنفسها اذ لا غنى لعلم الفلك عنها : ويتبين من هذا ان العلوم مفتقرة لبعضها على نسبة متزايدة وان لا سبيل لمعرفة المركب منها قبل معرفة البسيط ـ ويتقرر ان احتياج التونسي لمعرفة الهندسة هو بعد احتياجه للحساب وقبل احتياجه لجر الاثقال (المكانيك) ـ ولقد برز منا عدد حسن من المهندسين مما تكون نتيجته طيبة نسبيا .

ابسط العلوم اعمها ويزيدها تركيبها اختصاصها فان العدد يعم جميع الامور ودونه الهندسة اما الفلك فهو مختص بالكواكب وحدها و[illegible] المكانيك قسما اصغر من كل ما سبق

ومن العلوم المختصة بالاجسام علم الطبيعة الذي هو اكثر تركيبا واختصاصا من العلوم السابقة وهو ينظر في علاقة الاجسام مع بعضها بقطع النظر عن تراكيبها وامتزاجها فهو لا ينظر في تركيبها الكيمياوي والعنصري وهو مفتقر لعلم الحساب والهندسة لان احكامه هي نسبة حجم الاجسام وابعادها ـ الطبيعة هاته مرتبطة بالفلك لان احكامهما مستندة من بعضها

وهذا العلم غير رائج بتونس وهو مجهول بها عموميا غير ان هنالك طبقة لها المام اجمالي به وتلك الطبقة تشمل متخرجي المدرسة الصادقية وابناء الليسي وهي الطبقة المنكرة التي يمكن تلقيبها بالعالمة واما قولنا غير رائج لان نسبة معرفة علم الحساب لدى العموم ليست على نسبة معرفة علم الطبيعة مع كوننا اعتبرنا الفرق اللازم : لان افتقار التونسي للحساب ليس كافتقاره للطبيعة غير ان العدد الموجود غير متعادل مع النسبة الموجودة .

وتوالد العلوم من بعضها امر يشهد به التاريخ ايضا فان الحساب والهندسة مثلا كانا من العلوم المتداولة عند اليونان وقدماء المصريين : وكان الفلك من العلوم التي اشتغل بها العرب الجاهلية واحسنوا معرفتها .

وظهرت الكيمياء على مرسح الوجود بعد الطبيعة ومضى عصر طويل على تاريخ حياتها وهي تطلب المستحيل وتبغي تحويل كل المعادن الى الذهب وعرفت اذ ذاك بالسيمياء ـ وكان فضل هذا العلم الاخير كبيرا على الكيميا حيث صيرها علما ثابتا ايجابيا : لانه في تفتيشاته عن ايجاد الذهب من بقية المعادن استوجب تحليل الاجسام نعرف تركيبها ونسبة اجزائها الى بعضها ـ ثم اشتق من ذلك العهد وصار علما على حدة يبحث في نسبات الامتزاجات والتحاليل وقوانينها الناتجة من اعمال اجزاء الاجسام اما الكيمياء العنصرية فهي حديثة وراى بعض العلماء من المعقول الحاقها بالتشريح الفيسيولوجيا لان وضيفة الكيمياء الحقيقية لا تتجاوز البحث عن حالة الاجسام الغير الحية والغير المنظمة ـ ومن الطبيعي ان الكيمياء العنصرية هي دور التنقل من البحث في تراكيب الاجسام الى البحث في وضائف اعضائها ويستحيل على انسان ان يتعاطى هذا العلم قبل معرفة العلوم السابقة وقد تكون بعدها تبعا لناموس رقي العلوم والتاريخ بذلك شهيد

بقي ان نقول هل يعلم بعضنا هذا العلم ؟ ـ : نعم ولو كان عدد القائمين به قليلا جدا ـ وينبغي لنا هنا ان نلاحظ ان الادب العلمي التونسي كالادب الاجتماعي مفقود تماما ؛ فلا نجد كتابا علميا حديثا الفه تونسي ـ والسبب في ذلك هو عدم الكفاءة للتاليف من جهة وعدم وجود الضرورة اليه من اخرى لا بمعنى ان التونسيين لا يشتغلون بهاته العلوم لكن بمعنى انهم يتعاطونها بالفرنساوية ويطالعونها في كتب مصرية : وهذا دليل واضح على افتقارنا للغة الفرنساوية (الامر الذي نود الاستغناء عنه) ـ لانه مهما

تابع اساس علم الاجتماع

الف المصريون وترجموا الا انهم لم يصلوا بعد الى درجة تغني العربية عن اللغات الاوروبية ـ ونقول هاهنا ان التونسي قصر في هذا العمل : بل يتقد اساليب التعليم العلمي لانه بالفرنسوية فقط وهـذا من اسباب قتل لغتنا العربية العزيزة التي لا نريد ان نحيد عنها قيد انملة ـ

وزبدة القول ان الدراسة العلية بالعربية مفقودة بتونس وفي هذا من التقهقر ما لا يخفى على بصير : والسعي الاول في هذا السبيل هو تعليم ابنائنا الترجمة العلمية حتى يتوصلوا بهاته الطريقة للافادة بما تعلموه سواء بترجمة الكتب الفرنسوية او بالتاليف ـ وهي امنية تخالج فؤادي صباحا مساء اود لو تكون

وانفصلت الفيسيولوجيا عن الكيمياء وهو ذلك العلم الذي يبحث عن وظائف الاعضاء الجسدية وهو مرتبط بلا شك بالكيميا لان خصائص الحياة متعلقة بتراكيب الاجسام وامزاجها ومن ذلك تكون خاصيات محدودة لا تفهم الا بخاصيات كيماوية ويخرج الانسان من عالم الفيسيولوجيا الى عالم الكيمياء ومنه يخرج الى عـالم الطبيعة ومن ثمة الى عالم ضم الجميع وهو عالم العدد والمساحة : وهذا دليل آخر على تسلسل العلـوم من بعضها وافتقارها بعضا الى بعض

وتولدت من الفيسيولوجيا علم الروح او البسيكولوجيا الذي يعرف ايضا بعلم الوظايف العقلية ويقيس القوى العقلية ويحدد درجاتها ومنه يعرف مثلا استعداد الانسان ومقـدار مواهبه منطقة عمله العقلي او اليدوي المحدودة ـ وهو علم مفيد جدا يدخل في عالم الفلسفة الايجابية العلمية التي تبني العلوم على المعقول مع التجربة فهي ليست قنوعة بالتفكير ومواهب انتاج العقل الطبيعية التي قد تغلط احيانا وتاتي هفوات (لا محيص منها) تكون عاقبتها وخيمة لان عقل الانسان مجردا عن النظر والتطبيق يكون محل الغلط ـ ولهـذا قلنا ان مواهب المفكرين الطبيعية وحدها لا تكفي لاخراجنا من حالة اجتماعية الى حـالة ارقى منها وغير قادرة على احداث انقلاب اجتماعي له شان ولا زلت اقول ان الامور الان قيدت بالعلوم « حتى الفلسفة صارت علمية » زد ان البسيكولوجيا حددت المواهب ولم تطلق لها العنان في العمل الصحيح

ثم لنرجع ونقول انه لابد للانسان من معرفة الفيسيولوجيـا النباتيـة والحيونية ليتسنى له معرفة علم الروح « الذي منه علم الاجتماع »

وقد كانت العلوم في اول امرها تحت سيطرة الاوهام والعقائد الفاسدة وتخلصت شيئا فشيئا من براثنها ويرجع الفضـل في ذلك لعالم ما وراء الطبيعة وللاديان وهو عمل اجتماعي مهم

وللتونسيين المام بعلم الفيسيولوجيا لما تلقـوه من مباديه بالمدارس الثنوية ـ اما علم البسيكولوجيا فهو معلوم عند قليل منهم ممن طالع الفلسفة وبلغ درجة التعليم العالي ـ والذي يسوءنا تماما هو مع معرفة البعض بهاته العلوم فهم لا يفيدون بها مع ذلك : فان [illegible] الذي تعاورى من واجب كل انسان (ولا شك ان هولاء الناس بتعلمهم تلك العلـوم يدركون معنى الواجب) ان يفيد امته بما في وسعه و[illegible] جهلها من حيث هذا راجعة عليه : لان الاجتماع هو زبدة العلوم السابقة والـذي يعرف بعضها ويبخل به على امته يكـون جنى عليها و[illegible] المسؤولية عليه وحده فترى اننا غير جاهلين الا اننا فقدنا الارادة و[illegible] عزائمنا فاقعدنا ذلك عن الرقي « واعلنا اكثرنا جناية »

ولنقل الان انه من كل العلوم السابقة تولد علم الاجتماع او السوسيولوجيا وهو حديث العهد ما بين ابنـاء البشر : لان العلوم تسلسلت تاريخيـا كما تولدت عن بعضها ـ ويكون بهذا الموجب لا غنى للاجتماع عن تلك العلوم وهو مفتقر اليـها افتقـار الضمـآن الى العذب الزلال والاعمى الى النور ـ والافتقار من جهتـين : الاولى من حيث انه لا رقي اجتماعيا الا بدرس تلك العلوم على نسبة حاجة الانسان اليها كما بينـا فالشعب لا يترقى الا بالعلـم وحاجته الى الحساب اكثر من حاجتـه الى الهندسة ويحتاج اكثر الى هاته من الفلك ولهذا رايت الحساب والمساحة من مشمولات التعليـم الابتدائي والطبيعة والكيميا والفيسيولوجيا من مشمولات التعليـم الثنوي الذي يختم بدرس البسكولوجيا والفلسفة اما الاجتماع فهو من العلوم العالية واخذ التعليم الابتدائي يروج بين الطبقات اما الثنوي فهو يشمل مئات قليلة من الناس . والعـالي يعد عشرات من الاطباء والمحامين ليس الا

والوجهة الثانية هي كون الاجتماع لا تقطف ثمراته الا بعد اجتناء ثمرات العلوم السابقة التي يتولد منها ـ فما كل انسان يمكنه ان يكـون كاتبا اجتماعيا ولا ينبغي ان يطلق هـذا الاسم على كل كاتب ـ ولو قال البعض ان فلاسفة فرنسا مثل جان جاك روسو ادركوا هذا الشاو رغم كون درجتهم العلميـة دونه : فاقـول له ان اوروبا لم تترق عند ذاك

واخترعت علوما جديدة فيما بعد ينبغي على العاقل قطوف ثمراتها عوض ان يتيه بفكره ويريد ان يخترع لنا ما لا طاقة له عليه

فنحن اذا في حاجة الى الاختصاصيين في الاجتمـاع « لان الرقي الاجتماعي يوجب ذلك » ولا حاجة هاهنا لدرسه بمدارسه الخاصة بل يكفي الكاتب الاجتماعي ان يكون له معرفة بالعلوم المتقدم ذكرهـا حتى يتسنى له ان يتعلم السوسيولوجيا من كتبها « ويلج الديار من ابوابها » وهو امر لعمر الحقيقة مفقود فينا ولو كنا في اوكد الحاجات اليه

وهنا يمكن للقاري الكريم ان يجيب معي عن اسئلتي التي وجهتها في اول مقالي وهي : هل بلغنا شوط تعلم الاجتماع قبل الكتابة فيه وان لم نبلغه هل عملنا شيئا لبلوغه وان لم نعمل هل في طوقنا العمل

انك تقول معي ايها القاري اعزك الله ان بعضنـا له معارف اجمالية وعددهم معارف عالية وعددهم حسن نسبيا : فالشوط العلمي بلغناه وهو الامر الاساسي الرئيسي اما كوننا طالعنا الاجتماع فكل الشك في ذلك وعندي اننا لم نسع فيه « وكان يجب ان نسعى » وما ذلك الا لان العالم فاقد الارادة والجاهل يريد التحرير والتحبير ولا يجدر بنا ان نتناسى ان هذا « سقوط اجتماعي » ينبغي تلافيه ـ فلا الجاهل يفيد بكتـابته ولا العالم ينفع بعلمه ويتحتم على دعاة النهوض ان يتعلم جاهلهم قبل الكتابة في الاجتماع ويعمل عالمهم لفائدة بني جنسه ـ ولا ننسى ان هاته وظيفة عليا يرتكز عليها مستقبلنا : فيكون مكفهرا ان اهملناها ـ وباسما ان عملنا بمقتضاها

والراي عندي ان يسعى بعض مفكرينا في تكوين اثليـة تتعاطى درس الاجتماع لتكون ام المستقبل في هذا الفن وتعينا من غلطات الكتاب الاجتماعيين وهو العمل الاحسن لترقية مجتمعنا التونسي حيث اننا تجاوزنا عصر التالم والبكاء واتينـا عصر التطبيب والتـداوي « ولا طبيب لنا ولا اس »

والجملة هو ان لا غنى للكـاتب عن جملة علوم تكـون خاتمتها الاجتماع ليقدر على التحرير الاجتماعي النافع وقد كنا نكتب لنتالم « لان اول ما ينتبه في الشعوب الاحساس » اما الآن فقد ازف الحين وآن الاوان للعمل الحقيقي الصالح فلنشمر عن ساعد الجد معتقدينا ان علم الاجتماع له العلاقة الكبرى ببقية العلوم وهو خاضع خانع لقوانينها ولهذا فنحن في حاجة لها وله والله يهدي جميعنا الى سواء السبيل

عثمان الكعاك

صاحب امتيازها الطاهر ابن الحاج مبروك

مطبعة النهضة